نهج التنمية الثقافية عند مالك بن نبي
مدخل لتنمية المجتمعات المحلية العربية

د. عمر حوتية

جامعة أحمد درايعية، أدرار

hotiamar@yahoo.fr

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على مسألة الثقافة ودورها في تنمية المجتمعات المحلية، والإشارة إلى خصائص النظرية الثقافية عند مالك بن نبي، وإبراز محورية الثقافة في التغيير الاجتماعي والثقافي، وجوانب الاستفادة من نهج التنمية الثقافية عند مالك بن نبي في تنمية المجتمعات المحلية العربية. وخلصت إلى أن الثقافة تشكل أحد الروافد الهامة في حياة المجتمعات، وأن تخلف المجتمعات المحلية العربية ناجم عن تخلف ثقافاتها، وقد حرص المفكر مالك ين نبي على إنشاء مقاربة تسمح ببناء الأفراد القادرين على أداء دور محرك التنمية، وأنه بالامكان الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لديه في تنمية المجتمعات المحلية العربية، من جوانب متعددة، ومنها استيعاب فرص النهوض التنموي، تفعيل دور الثقافة والتأكيد على فعالية القوى الاجتماعية وتفعيل دور الانسان في تنمية المجتمع المحلي،

الكلمات المفتاحية: نهج التنمية، التنمية الثقافية، مالك بن نبي، النهضة، المجتمعات المحلية العربية.

مقدمة:

منذ قرون عانت الأمة الإسلامية من أزمة حضارية خانقة مست حياتها الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وزادت معاناتها في العصر الحديث بتعرض كافة الشعوب الإسلامية تقريبا للغزو الاستعماري الفكري والثقافي والعسكري الأوربي، والذي بذل كل ما في وسعه لطمس الشخصية العربية الإسلامية وسخر كل امكانياته المادية والمعنوية، فزاد العالم الإسلامي ضعفا وانحطاطا.

وفي ظل هذه الظروف المستعصية شهد العالم الإسلامي محاولات كثيرة قام بها العديد من المفكرين ورجال الإصلاح، هدفت إلى الكشف عن أسباب التخلف والانحطاط والبحث عن السبل للخروج منه.

ومن هؤلاء المفكرين الجزائري "مالك بن نبي " الذي شغل فكره وإهتمامه بمشاكل النهضة وأسباب التخلف في العالم العربي والاسلامي، ومنها الأمراض الثقافية التي تولدت عن عصر الضعف ووقفت حاجزا منيعا يصد أي مشروع للنهوض التنموي في الأمة الإسلامية والعربية.

إشكالية البحث:

في ظل تداعيات العولمة على الدول العربية بما فيها التأثيرات الثقافية السلبية على المجتمعات المحلية، وما تواجهه من عوائق عديدة تغيب شروط التقدم الثقافي، وتحول دون تقدمة الاقتصادي والاجتماعي، فإن ذلك يقتضي تبني نهج تنموي نابع من ثقافة المجتمعات العربية، قائم على ثقافة فاعلة وإيجابية، تنقل المجتمعات المحلية العربية من موقع الصمت السلبي أو الاستهلاك الدائم، إلى موقع المشاركة الإيجابية في مسيرة المجتمعات وتحقيق أهداف التنمية الشاملة في الدول العربية.

ونظرا للارتباط المتبادل بين تقدم المجتمع ونضجه الثقافي، نتساءل عن أهمية الاستفادة من نهج التنمية الثقافية عند مالك بن نبي في تنمية المجتمعات المحلية العربية؟.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في ظرف يتميز بانتكاسات تشهدها الأمة الاسلامية، وتخلف تنموي وحضاري تعاني منه المجتمعات المحلية الإسلامية والعربية، وعوائق عديدة تغيب شروط التقدم الثقافي، وتحول دون تقدمها الاقتصادي والاجتماعي، ونرى في تبني نهج التنمية الثقافية عند مالك بن نبي النابع من ثقافة هذه المجتمعات، كحل يمكن الاستفادة منه في التخلص من الأمراض الثقافية التي تكبح جهود التنمية المحلية، وتعرقل أي مشروع لتنمية المجتمعات المحلية، في ظل علاقة تلازمية بين الثقافة والتنمية.

أهداف البحث:

- تمحيص الفكر الحضاري لمالك بن نبي وإعادة صياغته على ضوء المعطيات الجديدة.

- التعرف على أولويات التنمية الثقافية والدور التي قد تساهم به في تعزيز جهود التنمية بالدول العربية.

- إبراز مقومات النهوض التنموي في فكر مالك بن نبي لتجاوز معوقاته في المجتمعات العربية المحلية.

- تبيان سبل الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لمالك بن نبي في تنمية المجتمعات المحلية العربية.

منهج البحث:

تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، وذكر آراءه وأفكاره المتعلقة بالثقافة والتغيير الثقافي وعلاقتها بالنهوض التنموي، مع عدم اغفال المنهج التاريخي السردي في تطور مفاهيم البناء الحضاري التنموي ومنهج الاستنباط الديني التقليدي المتبع في الدراسات الدينية.

خطة البحث:

1- مفهوم التنمية الثقافية ودورها في تنمية المجتمعات المحلية،

2- المسألة الثقافية وخصائص النظرية الثقافية عند مالك بن نبي،

3- محورية التنمية الثقافية في التغيير الاجتماعي والنهوض التنموي عند مالك بن نبي.

4- إمكانات الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لمالك بن نبي في تنمية المجتمعات المحلية

أولا: مفهوم التنمية الثقافية ودورها في تنمية المجتمعات المحلية

تعتبر التنمية مطلبا أساسيا للمجتمعات العربية، للارتقاء بواقع أفرادها المعيشي والحياتي، نظرا لما تنطوي عليه من مضامين اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية مهمة، والتي سنحاول تبيان مفاهيمها.

1- مفهوم التنمية للمجتمعات المحلية:

في إطار الاهتمام المتزايد بالتنمية الشاملة، ظهر مفهوم التنمية المحلية ليشير إلى آلية جديدة لتنمية المجتمع المحلي تهدف لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية.

1-1- تعريف تنمية المجتمع المحلي:

تعد التنمية المحلية جزء من التنمية الوطنية، تتعدد تعاريفها وفق مقاربات متنوعة، ومن بينها:

√ تعريف عبد المطلب عبد الحميد للتنمية المحلية: هي العملية التي يمكن بواسطتها تحقيق التعاون الفعال بين الجهود الشعبية والجهود الحكومية للارتفاع بمستويات التجمعات المحلية والوحدات المحلية اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا، من منظور تحسين نوعية الحياة للسكان في منظومة شاملة ومتكاملة.[1]

√ وعرفت تنمية المجتمع المحلي على أنها الجهود المنظمة لتحسين ظروف الحياة في المجتمع المحلي،

[1] عبد المطلب عبد الحميد.(2001)، التمويل المحلي والتنمية المحلية، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ص13.

وذلك بتشجيع وحث المقيمين في هذا المجتمع على مساعدة أنفسهم وتعامنهم بعضهم مع بعض مع تقديم المعونة الفنية اللازمة عن طريق المنظمات الحكومية والأهلي.[1]

√ ويعني مفهوم تنمية المجتمع المحلي أنها عملية يمكن فيها للمجتمعات المحلية أن تحسن قدراتها على استخدام رأسمالها الاجتماعي وتعزيز مستوى مشاركتها في العملية الإنمائية، من خلال العمل الجماعي.[2]

من ما سبق نستخلص بأن تنمية المجتمع المحلي هي إستراتيجية إنمائية موجهة نحو الأنشطة التي تثمن القدرات المحلية، عبر المشاركة الواسعة لجميع أفراد المجتمع المحلي بهدف تحسين جوانب حياتهم.

والقاعدة الأساسية لنجاح التنمية المحلية تكون بالمشاركة، فنجاح تجربة أي دولة في النمو يرجع إلى اعتمادها على مواردها المحلية وأثمن هذه الموارد هو العنصر البشري، وإذا ما تجاهلت الدولة هذا العنصر وركزت على عناصر أخرى فإنها ستخلق عبء مستمر على التنمية وهو وجود عنصر بشري يزداد عددا ويقل كفاءة دون أن يقدر على تقديم جهد متزايد لخدمة التنمية.[3]

1-2- أهداف تنمية المجتمع المحلي ومجالاتها:

إن عملية تنمية المجتمع المحلي الناجحة هي التي تحدد وتعد برامجها على أساس التخطيط العلمي الواعي الهادف إلى إشباع الاحتياجات الأساسية للسكان، ولهذا تتنوع أهدافها على النحو التالي:

1- تحسين ظروف حياة المواطنين من خلال تطوير مراكز الحياة وترقية نوعية الخدمات.

2- محاربة الفقر والإقصاء والفوارق الاجتماعية، ودعم الفئات المهشمة ودمجها في المجتمع.

3- التخفيف من الفوارق التنموية بين الولايات والبلديات وداخل الإقليم الواحد.

4- حشد الموارد البشرية والطبيعية اللازمة لإتمام عملية التنمية، وترشيد استعمال تلك الموارد.

5- دعم الأنشطة الاقتصادية المنتجة للثروات، وتشجيع إنشاء المقاولات الصغيرة والمتوسطة للإنتاج.

6- إدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة في مختلف الميادين الإنتاجية والخدمية.

7- إشراك المواطنين في تحديد احتياجاتهم، وتنسيق المشاريع والبرامج والأعمال المراد القيام بها.

8- ضمان العدالة في الاستفادة من المرافق والخدمات الأساسية.[4]

---

[1] القبلان غازي .(2017)، تنمية المجتمع المحلي، دار الخليج للنشر والطباعة والتوزيع، عمان، الأردن، ص133.

[2] Mansuri G, Rao V.(2003), Evaluating Community Driven Development: A Review of the Evidence, Development Research Group, World Bank, Washington.

[3] طاشمة بومدين.(2008)، " الحكم الراشد ومشكلة بناء قدرا ت الإدارة المحلية في الجزائر"، ورقة بحث مقدمة إلى الملتقى الوطني حول" التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر: واقع وتحديات"، جامعة الشلف، 16- 17 ديسمبر 2008، ص 2.

[4] طاشمة بومدين، " تنمية المجتمع المحلي"، محاضرة منشورة، جامعة تلمسان، الموقع: https://elearn.univ-tlemcen.dz ›

9- دعم الإدارة المحلية حتى تتمكن من التطور والخروج من دائرة الفقر، من خلال تقديم مساعدات

10- الاستفادة من اللامركزية والتي تعني استقلالية السلطة والإدارة، مما يساعدها على وضع المشاريع المناسبة لها لاعتبارها الأقرب من الدولة إلى السكان وأعلم باختياجاتهم والنقائص التي يعانون منها.

11- بروز إمكانات التكامل بين المناطق والتكامل بمعنى التعاون للوصول إلى الأهداف المحددة.[1]

وتتعدد مجالات التنمية المحلية، وأهمها: التنمية البشرية، التنمية القومية، التنمية الاقتصادية، التنمية الاجتماعية، التنمية البيئية، التنمية المستدامة، التنمية التكنولوجية، والتنمية الثقافية موضوع بحثنا.

2- ماهية التنمية الثقافية:

أقرت اليونسكو في مؤتمرها بالمكسيك عام 1982م والذي كرسته للثقافة، تعريف الثقافة: بأنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها. وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"[2]. وأكدت مؤتمرات منظمة (اليونسكو) في العقود الأخيرة أهمية الاعتراف بالبعد الثقافي ضمن منوال التنمية مما أدى للاهتمام بمفهوم "التنمية الثقافية cultural development".

2-1- تعريف التنمية الثقافية ومبادئها:

التنمية الثقافية هي عملية تطوير وتعزيز الثقافة في مجتمع معين، ومن بين التعاريف نشير إلى ما يلي:

√ التنمية الثقافية هي" التغيير الذي يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة، بما فيها العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق، بالإضافة للتغيير الذي يحدث على مستوى بنيان المجتمع".[3]

√ وتعرف التنمية الثقافية بأنها : تلك المنهجية التي تستوعب كل منتجات المجتمع لتحوله في النهاية التي أنشطة فكرية واجتماعية يتم ممارستها في المجتمع ويتفاعل منها الأفراد بأساليب متفاوتة بحيث تكون في النهاية عنصر أساسي في تحديث إدراكهم لواقعهم الاجتماعي.[4]

فالتنمية الثقافية تشير لنمو وتطور أعراف المجتمع وقيمه ومعتقداته وعاداته وآثاره مع مرور الوقت.

وقد أصبحت التنمية الثقافية محور الاهتمام الأبرز في مختلف المجتمعات العالمية الساعية للنهوض والتقدم والتطور، ولذلك فإن الخطط الحديثة لتنمية المجتمعات لم تعد تغفل العنصر الثقافي بوصفه

---

[1] حفيظة سبع.(2017)، دور الولاية في تحقيق التنمية المحلية.(ماجستير غير منشورة)، جامعة قسنطينة، الجزائر، ص33.

[2] دور الثقافة والمثقف في التغيير الاجتماعي والبناء والتنمية،(2015)، متاح على الموقع: https://pflp.ps/post/11120

[3] مصطفى يوسف كافي.(2017)، التنمية المستدامة، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص17.

[4] الخشبان، علي بن محمد .(2008)، هل تغيب التنمية الثقافية من واقعنا الاجتماعي، مقالة نشرت في جريدة الرياض، بتاريخ 26 مايو 2008، العدد 14581، متاح على الموقع: http://www.alriyadh.com/2008/05/26/article345461.html

واحدا من أهم العناصر التنموية التي يمكن أن تصنع حراكا إيجابياوتسارع بها عجلة التنمية.[1]

وتتحقق التنمية الثقافية، بزيادة الاستثمارات وتنمية الموارد البشرية وتأهيل المؤسسات الثقافية ودعمها بتشريعات والقوانين اللازمة، وضع خطط تنموية لإدارة الثقافة ومنتجاتها وفقا للمتطلبات المحلية.

وتستند التنمية الثقافية على مجموعة من المبادئ والمرتكزات التي تعد بمثابة الموجه لها، وهي[2]:

- الإيمان بان القوة الحقيقية تكمن في العلم والمال معا، وليس في الجانب المادي،

- التأكيد على ضرورة اعمال الجانب العقلي إلى الجانب الروحي واعتباره العنصر الأول وهو أحكام العلم وتحقيق التوازن بين القيم الروحية المادية، وربط التقدم التقني والعلمي بالقيم الروحية الأصيلة.

- ضرورة المشاركة والمساهمة في التطورات المالية و في بناء الحضارة المعاصرة.

- الاعتقاد التام بضرورة تجنب التخلف الثقافي ووسائله وطرقه، فالثقافة المتخلفة تعبر عن مجتمع متخلف، والثقافة قابلة للتغير من جوانب عديدة، لذا لابد من محاولة تغيرها وتطويرها خاصة الجانب العلمي والتكنولوجي والعمل على تحقيق ثورة ونهضة علمية تخلص المجتمع من جميع القيود التي تكبله .

- ضرورة فهم أن لكل ثقافة خصوصيتها وهويتها، فليس هناك ثقافة أفضل من غيرها في مجال التقدم.

2-2- أهداف التنمية الثقافية:

عادة ما تهدف برامج تنمية المجتمعات المحلية إلى تعزيز الوعي بالإمكانات المحلية وتوفير المعلومات اللازمة ذات الصلة بالموارد والمدخلات والبنية التحتية، وتقديم المساعدات الفنية وتنمية المهارات.

وتسعى التنمية الثقافية إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات ومن أهمها[3]:

- نقل الموروث الثقافي عبر الأجيال للمحافظة على المجتمع العربي وتوسيع ثقافته وتأمين استمرارها.

- تخليص وتنقية الثقافة المحلية ما لصق بها من شوائب وبدع وعادات سلبية تعمل على ترسيخ التخلف، والعمل على تحسينها، وإرساء دعائم الصالح منها، والمحافظة على ذاتيتها وشخصيتها المتميزة.

- تجديد الثقافة المحلية بتغيير تطوير العناصر القابلة لذلك وتحسينها وتوفير الوسائل والسبل الممكنة لتحقيق ذلك، مع المحافظة على الثواب وترسيخها في شخصية أفراد المجتمع.

- تأصيل جذور التثقيف الذاتي بين الافراد وتسهيل طرقه، وتوفير كافة الوسائل المساعدة عليه، وتهيئة البيئة والمناخ الفكري والفني، وبناء مواطن واع ومثقف قادر على مواجهة كافة والعقبات التي

[1] حميد بن كويمي حران الرويلي، محمد بن عبد الله اليحيى.(2017)، دور أعضاء هيئة التدريس في تنمية الوعي الثقافي، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، مصر، العدد الثامن. الجزء الأول، ص137.

[2] زموري زينب.(2014)، ماهية التنمية الثقافية : دراسة تحليلية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، المجلد 06، العدد 14، ص151.

[3] زموري زينب.(2014)، مرجع سابق، ص152.

تواجهه.

- تكوين الفكر المبدع القادر على التقدم العلمي والتقني والاهتمام بالمواهب العلمية وتشجيعها .

3- دور التنمية الثقافية في تنمية المجتمعات المحلية:

تعتبر العلاقة بين الثقافة والتنمية علاقة جدلية، حيث لا يمكن تحقيق التنمية من دون الثقافة، وتشير معظم الدراسات إلى ضرورة الاهتمام بالتنمية الثقافية كجزء من جوانب التنمية للمجتمعات المحلية.

ويعد إدراج الاحتياجات الثقافية في خطط التنمية المحلية أمرًا مهمًا للحفاظ على الثقافة المحلية، ودعم التنمية المستدامة، وجذب السياح. وتمكن الحكومات المحلية من إنشاء مجتمع أكثر شمولاً وحيوية.

3-1- التنمية الثقافية كمدحل للبناء والتغيير الاجتماعي:

تعتبر التنمية الثقافية أكثر من ضرورة للبناء الاجتماعي فمن خلالها تتغير المسارات الاجتماعية نحو الأفضل، كما أنها تسمح للمجتمع بتطوير آليات لتحقيق الوعي الكافي ولجلب المجتمع للتفاعل مع الثقافة بمفهومها الاجتماعي ومنتجاتها مما يضمن له تحقيق متطلباته الفكرية الحقيقية بمفهومها.[1]

ولما كانت الأفكار بما تحمله من تأثير مباشر في شخصية الفرد وسلوكه الاجتماعي هي روح الثقافة في كل عصر من عصور التاريخ والحضارة، صار التغيير الاجتماعي جانبا ثقافيا له أهميته النفسية والفكرية في حركة المجتمع بصورة خاصة والتطور الحضاري لذلك المجتمع بصورة عامة.

ويمكن اعتبار تاريخ ثقافات الشعوب الإنسانية تاريخ التغييرات الاجتماعية التي حدثت فيها خلال حقب التاريخ، بتأثير عوامل سياسية ودينية واقتصادية، لذلك يبدو أن استيعاب ثقافة شعب ما من الشعوب يجب ألا ينفصل عن فهم التغيير الاجتماعي الذي أحدثها وتأثر بها ضمن حركة تاريخ العالم.

فالبيئة الثقافية هي التي تمد الإنسان بنظراته المختلفة العقلية والفكرية وتحدد قيمة رصيده الثقافي قوميا وعالميا، وهنا يبرز عنصر "الإبداع والابتكار" بروزا ثقافيا، ذا قدرة وأهمية في تعيين عوامل التغير الاجتماعية القائمة على استيعاب ناضج لأنماط المعتقدات والأفكار التي تولد، في العادة، من أجل غرض اجتماعي حيث يبدأ التفاعل الحقيقي بين "التغير الثقافي والتغير الاجتماعي" نظرا لارتباطهما الوثيق بفكر الإنسان وانعكاساته في سلوكه، وأنماط حياته وأساليب تفكيره وأنواع تقاليده وقوة مصادر تراثه وأعرافه، أي في جوهر حرية قيمه الاجتماعية المختلفة.. كل ذلك من خلال لغة الثقافة التي تعد بحق الصوت الناطق لفكر الأمة والشعب.[2]

---

[1] نفس المرجع، ص150.

[2] محمد أبو غندور.(2012)، الثقافة والتغيير الاجتماعي، الحوار المتمدن، العدد 3726، متاح على الموقع: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=307479، اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/15.

3-2- دور التنمية الثقافية في النمو والتنمية الاقتصاية والاجتماعية:

إن العلاقة بين الثقافة والتنمية تشير إلى الارتباط المتبادل بين تقدم المجتمع ونضجه الثقافي، وتشير أيضا إلى الأثر الذي تمارسه العوامل الثقافية على التنمية في المجتمع المحلي، والأثر الذي تمارسه التنمية على الثقافة في هذا المجتمع. فالثقافة والتنمية عنصران جوهريان يؤثران بشكل تفاعلي على بعضهما.

ويظهر تأثير التنمية الثقافية في التنمية بمفهومها الشامل، في الجوانب التالية:

1- تؤثر الثقافة على النمو الاقتصادي والتنمية بأكثر من طريقة. ومن بين هذه الطرق:

- تعزز الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي، وتعزيز الروابط الاجتماعية بين الناس.

- تؤثر التنمية الثقافية في سلوك المستهلك والإنتاج، مما يؤدي إلى تغيير النمط الاستهلاكي والإنتاجي.

- تزيد من قدرات الموارد البشرية، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية وتحسين الوضع الاقتصادي.

- تشجع على الابتكارات الاجتماعية والتعاون، الأمر الذي يساعد على تحقيق التنمية المجتمعية.

- تطوير الصناعات الإبداعية، والتي تعد محركاً هاماً للاقتصاد، وتساهم الثقافة في تعزيزها وتطويرها.

- تحسين الجودة الحياتية، إذ تسهم الثقافة في رفع مستوى التعليم والوعي الثقافي والصحي المجتمعي.

2- تؤثر التنمية الثقافية في تعزيز التنمية المحلية المستدامة، وذلك بعدة طرق:

- تعزيز العمل الجماعي والتعاون بين الناس، مما يساعد على تحقيق التنمية المستدامة.

- تساعد في رفع مستوى الوعي حول قضايا التنمية المستدامة وتشجيع الناس على اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية البيئة والموارد الطبيعية. فيتعلموا ويقدّروا أهمية الحاجة إلى حماية البيئة.

- تساعد في تعزيز التنمية المستدامة، وذلك بالحفاظ على الثقافات وأساليب الحياة التقليدية والاحتفال بها. ويمكن للتنمية الثقافية أن تساعد في تعزيز ممارسات التنمية المستدامة التي تحترم البيئة وتحميها.[1]

3- دورها في التنمية الاجتماعية: فالتنمية الثقافية تؤثر على نمط حياة الناس وطريقة تفاعلهم مع العالم الخارجي. وتمكنهم من الحصول على المزيد من الموارد والفرص للنمو.

4- بالإضافة إلى ذلك، فإن التنمية الثقافية تعتبر مصدراً حيوياً للابتكار والإبداع والتطوير التكنولوجي، مما يساعد في تعزيز قدرات البلدان وزيادة تنافسيتها في الأسواق العالمية. وبالتالي، يمكن القول بأن الثقافة تعتبر عنصراً أساسياً في عملية التنمية المستدامة للمجتمعات والبلدان.

[1] أنظر موقع إجابة : https://www.ejaba.com/

4- و اقع التنمية الثقافية وتحدياتها في العالم العربي:

إن الثقافة العربية المعاصرة، بمعناها التاريخي والاجتماعي خلاصة تجارب عريقة وناضجة للتراث العربي، وبالرغم من العائد الاقتصادي والأهمية الاجتماعية والبيئية للثقافة في العالم العربي، إلا أن القطاع الثقافي مازال مهمشا على حساب القطاعات الأخرى، حيث نجد التركيز على التنمية الاقتصادية وحدها وإهمال الجوانب الأخرى للتنمية ومنها التنمية الثقافية، مما كانت له نتائج سلبية على واقع التنمية فيها.

فالظروف الحالية للمجتمع والثقافة العربيين تواجه عوائق عديدة تغيب شروط التقدم الثقافي، ومنها:

1- العولمة : من خلال انطوائها على ما يعرف بثقافة العولمة، مما أدى لتراجع الخصوصيات الثقافية للمجتمعات المحلية، لتبقى ضعيفة وغير قادرة للاستجابة لتطلعات أفرادها إذا لم تستفد من التكنولوجيا وإتقانها واستخدامها في الحفاظ على تراثها وتقاليدها، كما فعلته كل من اليابان وكوريا وسنغافورة .[1]

وتزداد في المقابل موجة التبعية الثقافية لأسواق الانتاج الثقافي الخارجية أو للثقافة الاستهلاكية.

2- غياب الديمقراطية وضمانات حقوق الإنسان، وبالذات حق التفكير والتعبير والعقيدة.

3- التخلف الاقتصادي والفقر وأثرهما في الحرمان من الحقوق الثقافية.

4- انتشار الفكر غير العلمي وسطوته على الجماهير البسيطة.

5- سيادة نظم التعليم التلقيني مقابل التعليم النقدي.

6- انتشار الأمية بأنواعها الأبجدية، الثقافية، التكنولوجية.[2]

7- النزاعات والصراعات، تؤثر على التنمية الثقافية، حيث تؤدي إلى انهيار وتشتت المجتمعات وتفككها.

8- نقص الموارد البشرية المؤهلة والمتخصصة في مجالات الثقافة والفنون والتراث.

وحسب مالك بن نبي فان المجتمعات العربية تواجه تحديين: التحدي الداخلي الذي يتمثل في ضرورة البناء من الداخل، والتحدي الخارجي يتمثل في التكيف مع التطورات الخارجية، وتقف أمامها عدة صعوبات من أهمها[3]: الحالة النفسية التي يوجد عليها الأفراد والمجتمع العربي، الخلل الموجود في العوالم الثلاث (الأشياء- الأشخاص - الأفكار)، القيم الاجتماعية السائدة.

[1] ابراهيم بدران،(2002)، افول الثقافة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ص ص: 189-191.

[2] حواس مسعود.(2006)، التنمية الثقافية في العالم العربي، الموقع: https://araa.sa/index.php?view=article&id=2879، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2024/07/10.

[3] مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الحضارة – تأملات، دار الفكر، دمشق، ص ص: 11-26.

ثانيا: المسألة الثقافية وخصائص النظرية الثقافية عند مالك بن نبي

يعتبر مالك بن نبي من الشخصيات البارز وجودها والتي كان لها دور كبير في وسط المجتمع الجزائري والعالم العربي الإسلامي، ويعد فكره ثروة ثقافية لا غنى عنها، وكان مصدر إلهام بعض الدول والشعوب، وقد كرس فكره لدراسة الواقع المعيشي ودراسة تاريخ المجتمع وتبيان أهم المشكلات والأزمات التي قد تواجه حضارته ونهضته، ومن ذلك اهتمامه بالمسألة الثقافية وإبراز خصائص النظرية الثقافية.

1- التعريف بالمفكر مالك بن نبي والعوامل المؤثرة في ثقافته:

مالك بن عمر بن نبي (1323هـ/1905م– 1393هـ/1973م)، مفكر إصلاحي جزائري من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين. وساهم في تحديد وصنع ملامح الفكر الإسلامي الحديث.

1-1- مولده ونشأته وتكوينه:

ولد مالك بن نبي في 5 ذو القعدة 1323هـ الموافق لفاتح جانفي 1905 بقسنطينة شرق الجزائر، نشأ في عائلة فقيرة وترعرع في أسرة إسلامية محافظة، فكان والده موظفًا بالقضاء الإسلامي، ارتحل مع أبويه سنة 1912م عند أخوال أمه في مدينة تبسة. وتلقى تعليمه الأولي في كتاب بلدة تبسة طيلة أربع سنوات، حفظ خلالها عدة أجزاء من القرآن الكريم، والتحق بالمدرسة الفرنسية، وبعد أن أتم التعليم الابتدائي ونال شهادة الابتدائية، انتقل إلى قسنطينة ليتم دراسته في المرحلة التكميلية وينال رتبة كاتب عدل.[1]

سافر مع أحد أصدقائه إلى فرنسا وكانت له تجربة فاشلة فعاد مجددًا إلى مسقط رأسه، ثم عمل بمحكمة آفلو في مارس 1927م، احتك حينها بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده. واستقال من منصبه القضائي بعد سنة 1928 إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية.

وكانت هذه المرحلة من أخصب مراحل حياته، التقى فيها بأعلام النهضة الجزائرية العربية الإسلامية الحديثة أمثال الشيخ المولود بن الموهوب، والشيخ محمد بن العابد، اللذين اكتسب منهما العلم الشرعي، ونمَّى ثقافته الإسلامية، كما اكتسب من الشيخ عبد الحميد بن باديس الحماسة والشجاعة والإقدام وتعرف على بعض تلامذته. وقرأ خلال هذه الفترة عدة كتب، من أهمها كتابان أثرا في تكوينه ونفسيته، هما: (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) لأحمد رضا، و(رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده،.[2]

أعاد الكرَة سنة 1930 م بالسفر لفرنسا في رحلة علمية، وتخرج كمساعد مهندس كهربائي عام 1935م. واختار الإقامة فيها وتزوج من فرنسية هداها الله إلى الإسلام وصار اسمها خديجة.

انتقل إلى القاهرة هربا من فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية (1954م)، وحظي باحترام كبير في مصر، وهناك طور معرفته باللغة العربية وراجع كتبه المترجمة للغة العربية وشرع بالكتابة بالعربية، وكان بيته

[1] مالك بن نبي.(1994)، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، سوريا، ص 19.

[2] نفس المرجع، ص ص: 66، 67.

مدرسة ثقافية يقصدها الطلبة من عرب ومسلمين، ويستمعون لأفكاره ورؤيته لمسألة الإصلاح والتجديد.

وقد كان أحد مستشاري المؤتمر الإسلامي في القاهرة، وفيها كانت أغنى مراحل عطائه الفكري، مما سمح له بمواصلة الكتابة الفكرية وإرسال المال ليعول زوجته بفرنسا.

وعاد في سنة 1963 للجزائر بعد إستقلالها، فعين سنة 1964 كمدير عام للتعليم العالي، وواصل التأليف، فصدر له آفاق جوائرية "Perspectives algériennes" وكذلك الجزء الأول من مذكراته.[1]

استقال من منصبه سنة 1967، ليتفرغ كلية للعمل الفكري الإسلامي والتوجيهي. فساهم بمقالات متتابعة في الصحافة الجزائرية حول إشكالات الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع إلى سنة 1968، وقضى ما بقي من سنوات عمره في الجزائر إلى أن توفاه الله تعالى يوم 31 أكتوبر 1973م.

ألف مالك بن نبي كتبه فى الجزائر وفرنسا ومصر، أهمها: الظاهرة القرآنية (1946م)، شروط النهضة (1948م) وطرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار، وجهة العالم الإسلامي (1954)، مشكلة الثقافة، تأملات، آفاق جزائرية، المسلم في عالم الاقتصاد، مذكرات شاهد القرن، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.

1-2- العوامل المؤثرة في ثقافة مالك ابن نبي:

لا يمكن لدارس فكر مالك بن نبي، أن يغض الطرف عن مولده وحياته وشخصيته التي كان لها الدور الكبير في بناء معالم فكره، وقد أثرت عدة عوال في حياته وثقافته، ومن أهمها:[2]

1- وُلد بن نبي في عصر الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعاش مأساة بلد يخطط الاستعمار لشل فاعليته، ومن ثم لتحويله إلى فريسة سهلة الالتهام، عاشها يوماً بيوم في المدرسة الفرنسية حيث لا يسمح لابن البلد إكمال الدراسة الثانوية، وفي تحول المجتمع عن فطرته وكيف ساد الصعاليك بدعم الإدارة الفرنسية، وكيف أصبحت العائلات العريقة فقيرة، ذليلة بسبب الاستيلاء على أراضيها، وفي فرنسا عاش مع الجالية الجزائرية ورأى الاستعمار من زواياه المختلفة وشعر بخبث أساليبه في تمزيق العالم الإسلامي.

2- القراءات الغزيرة المتنوعة، منذ صغره في الابتدائية، وقد قرأ كتب علم النفس والاجتماع وهو لا يزال في المرحلة الثانوية، وكان يقرأ كل الصحف التي تصل إلى قسنطينة أو تبسه، إضافة إلى اطلاعه الواسع على الثقافة الغربية، حتى أنه كان يكرر نغمة (الإنسانية) و(العالمية) السائدة عند الفلاسفة الغربيين، فيتكلم عن حضارة اليوم التي تسير نحو الشمول والعالمية.[3]

3- ثقافته الإسلامية : يعترف مالك بأن الذي كان يرده عن الغلو في هذا الاتجاه (القراءات الكثيرة للفكر الغربي) هو ما كان يتلقاه من دروس في التوحيد والفقه، وقراءاته لكتب تأتي من المشرق العربي مثل: "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" لأحمد رضا، و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده،

---

[1] أنظر: مالك بن نبي، وكيبيديا الموسوعة الحرة، متاح على موقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/.

[2] رحو أحمد، مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي، متاح على الموقع:/http://www.startimes.com ، اطلع عليه بتاريخ: 2024/07/10.

[3] مالك بن نبي.(2006)، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 6، دمشق، ص48.

و"طبائع الاستبداد" للكواكبي، والمجلات الإسلامية الجزائرية مثل (الشهاب) يصدرها الشيخ ابن باديس، وكان عنده اطلاع على التاريخ الإسلامي وقدرة على فهم الآيات وأحاديث تتعلق بالتغيير الاجتماعي.

4- ومن المؤثرات الواضحة في شخصيته ما عاناه من فقر شديد في طفولته، وحياة النَّصَب والتعب التي عاشها في شبابه بحثاً عن العمل، وذه الأوضاع النفسية جعلته يكره -وهو صغير- الدور المترفة.[1]

إن هذه العوامل جعلت مالك بن نبي يحمل هموم التخلف الحضاري لأمته الإسلامية القابعة في التراب، فكان يشخص الأمراض، ثم يقدم أسبابها وعللها، دارساً فاحصاً لتفرعاتها ومظاهرها وأوجهها المختلفة.

2- مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ونظرته للمشكلة الثقافية:

يتميز مالك بن نبي بكونه رائد اتجاه فكري غير مسبوق في العالم الإسلامي، جعل من " الحضارة " وحدة تحليل وعالج من خلالها العديد من المسائل ومنها المسألة الثقافية وورها النهضوي.

2-1- مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

يعرف مالك بن نبي الثقافة على أنها " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، أي هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر.

وهو تعريف شامل يضم بين دفتيه فلسفة الانسان الفرد وفلسفة الجماعة ويهتم بضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد، فالثقافة هي المعيار الذي تتحدد به هوية كل مجتمع، ولا يمكننا تصور مجتمع بلا ثقافة، ولكل مرحلة من مراحل حياة المجتمع سمات ثقافية تتأثر وتؤثر في عوامل نهوضه أو تفككه.

ويرى بأن ثمة مركب اجتماعي للثقافة يتألف من 04 عناصر يتخذ منها أي شعب دستورا لحياته، هي:

1- عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية،

2- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام،

3- عنصر منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام،

4- الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة على حد تعبير ابن خلون.

وتشكل الثقافة بعناصرها الأربعة السابقة صورة الحياة في حضارة ما، وينبغي الإدراك بأن الحياة في أي مجتمع قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات، أي بالجانب المادي أو الاقتصادي من الحضارة تتخذ اتجاها عاما ولونا شاملا يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي وبذوق الجمال الشائعين في هذا

[1] الأخضر شريط .(1989)، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ص 71.

المجتمع، ويمكن صياغة هذه العلاقة في صورة جبرية: مبدأ أخلاقي+ ذوق جمالي + اتجاه حضارة.[1]

وتختلف الحضارات باختلاف التوجيه الثقافي للإنسان الصانع لهذه الحضارة أو تلك.

2-2- نظرته للمشكلة الثقافية كمرض اجتماعي يعاني منه العالم الإسلامي:

قام المفكر مالك بن نبي بتشريح دقيق للمجتمع الجزائري والإسلامي والعربي، وما يعانيه من آفات وصفها بالمرض الاجتماعي الذي يحطم الجسد الاجتماعي، ويرى بأن هناك ثلاثة أمراض تعاني منها هذه المجتمعات، وهي: مشكلة الحضارة، مشكلة المفهومية أو الفهم المتبادل، مشكلة الثقافة.

2-2-1- مشكلة الحضارة:

إن المتأمل في أعمال مالك بن نبي الفكرية، يلاحظ أنها تحاول معالجة مسألة أساسية وهي مشكلة الحضارة وعوامل قيامها وانهيارها، ومكوناتها ومعادلاتها، فيقول مالك بن نبي " إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها".[2]

وقد عرف ابن خلدون الحضارة، فيقول " الحضارة في الواقع بأنّها جملة العوامل المعنويّة والماديّة التي تتيح لمجتمع ما أن يوفّر لكلّ عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره".[3]

ويرى مالك بن نبي أن كل حضارة ينبغي أن يكون لها اتصال بماضيها وتراثها ولن يتحقق المستقبل الأفضل إلاّ بعد دراسة الماضي لأنه يحمل الكثير من مكونات الحاضر والمستقبل.

2-2-2- مشكلة المفهومية أو الفهم المتبادل:

إن مشكلة المفهومية تثار على المستوى الوطني داخل كل بلاد فرضت شروطها الخاصة ضمن طور معين من أطوار تاريخها أنماطا من العمل الجماعي، تراعي في الاعتبار مقاييس ينبغي على المعالج أن يأخذها بعين الاعتبار في علاج المجتمع : التشخيص والعلاج، اكتشاف المرض وطريقة مداواته، أي معرفة الاء والدواء.

فنشاط المجتمع المشترك لا يتكون ببساطة من مجرد مجموع نشاطات فردية حتى ولو كانت هذه الأخيرة من نفس الجنس، وحتى ولو كانت متحدة كلها في نفس الاتجاه، إذ يجب أيضا أن يتم تنظيمها في كنف النشاط الإجمالي حسب مخطط تنظيمي يتولى تحديد فعالية هذاالنشاط، فهذا " التنظيم "للنشاطات الفردية بالذات في كنف نشاط اجتماعي مشترك هو الذي يصنع على وجه الدقة مشكلة المفهومية.[4]

---

[1] مالك بن نبي.(2006)، شروط النهضة، مرجع سابق، ص81- 101.

[2] نفس المرجع، ص21.

[3] مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ص42.

[4] مالك بن نبي،(1995)، من أجل التغيير:،سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر للتوزيع والنشر، ط 5، دمشق، سوريا، ص18 .

2-2-3- مشكلة الثقافة:

إذا كانت المدرسة الغربية الرأسمالية تعرف الثقافة بأنها فلسفة الإنسان، أماالمدرسة الماركسية تعرف الثقافة بأنها فلسفة المجتمع، فان مالك بن نبي يجمع بين النظرتين ويقرر بان الثقافة تشمل فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع لذلك نجد أن السؤال الذي طرحه في كتابه مجالس دمشق ما الثقافة؟، ومشكلة الثقافة حسب مالك بن نبي، ليست مشكلة فهم وتفسير لنموذج ثقافي موجود في الواقع بقدر ما هي مشكلة إيجاد وترقية لهذا النموذج لأنه نموذج منشود.[1]

وقد نظر مالك بن نبي للمشكلة الثقافية في البلاد العربية والإسلامية، من حيث وظيفتها الاجتماعية. تلك الوظيفة الاجتماعية المفقودة في البلدان العربية والإسلامية هي التي جعلته يعتبر الثقافة مشكلة ويصرّ على إثارتها في سائر كتبه كلما استدعى المقام إثارتها، لأنه وهو المفكر الذي كان يتأمل وظيفة الأفكار من خلال سلوك الأفراد وأسلوب الحياة في المجتمع الغربي وانعدامها في العالمين العربي والإسلامي، لاحظ أن السبب في عدم فعالية الأفكار فيهما هو أنّ أغلب الناس يخلطون بين كلمة ثقافة وعلم أو بين مفهوم ثقافة ومفهوم علم. فهذا الخلط هو منبع إثارة مالك بن نبي لمشكلة الثقافة، كما هو في الوقت ذاته منبع اعتقاد الإنسان على محور طنجه جكارتا، أن الثقافة هي مجرد معرفة أو علم وليست الثقافة هي إطار معنوي ومادي الذي يحيط بالفرد ويؤثر في سلوكه وأسلوب حياة مجتمعه تأثيرا إيجابيا أو سلبيا.[2]

2-3- نظرته للمشكلة الثقافية كسبب لتخلف المجتمعات الإسلامية:

يرى مالك بن نبي أن من أهم الاسباب التي حالت دون محافظة المسلمين على تقدمهم الأمراض الثقافية التي ورثها الإنسان المسلم عن عصر ما بعد الموحدين، فعمل على تشخيص تلك الأمراض والبحث عن الحلول التي تقضي على التعالي والذاتية التي جعلت من المسلم يعيش في قوقعة الماضي الذي لا يكاد يبرحه والنظر إلى المستقبل الذي يضمن له مواكبة العصر بما تطلبه المرحلة.[3]

ومثال ذلك مشكلة التصحر أو انخفاض نسبة المياه في الأودية والسدود أو مشكلة تناقص الإنتاج الزراعي أو مشكلة تضييع الوقت أو مشكلة ارتفاع نسبة البطالة أو كل هذه القضايا التي نعاني منها، هي مشكلة إمكان حضاري أو تجهيز أو وسائل، وإنما يتيسّر حلّها للتفكير الذي يعتبرها مشكلة ثقافة،[4] والتخلف الذي يعيشه المسلمون ينبع في الأساس من داخلهم ويعود إلى طبيعة تشكيل عقليتهم وشخصيتهم التي ترسبت فيها مفردات الثقافة السلبية ولا حل لهذه المعضلة إلا بالتحول من مجتمع غير فعال إلى مجتمع فعال، وفاعلية أي مجتمع إنما تنطلق من فاعلية الإنسان، وقد كان مالك بن نبي يقول في ذلك أنه

---

[1] السعيد جقيدل، آدم رحمون.(2017)، تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الجزائري من خلال أطروحات مالك بن نبي، مجلّة العلوم الإسلاميّة والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، مجلد 2 (02)، ص47-51.

[2] مالك بن نبي.(2006)، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ص 49 .

[3] فاطمة بور.(2017)، الأمراض الثقافية في العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مجلّة العلوم الإسلاميّة والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالأغواط، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2017 .

[4] مالك بن نبي.(2000)، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ص: 59-64.

" إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ".[1]

فما يقف أمام حركة الانسان بالمجتمعات الاسلامية إنما هو فكره المكبل بكثير من القيود، وهي[2]:

1- خضوع الفكر لطغيان الشيئ والشخص، إذ يتمحور فكرنا حول أشخاص أو زعماء بعينهم أو حول شيئ ما، ولا يمكن أن يتحول الانسان إلى كائن فعال بشكل ايجابي في التاريخ إلا إذا تمحور فكره حول الفكرة لا الشخص أو الشيئ، وفي رأي بن نبي فإن الأفكار هي محرك للأشخاص ومن ثم للمجتمعات.

2- الازدواجية اللغوية التي يعاني منها المسلمون، والتي غرسها العصر الاستعماري وأحدثت انقساما في العالم الثقافي للبلاد الاسلامية، ليس فقط ذات طابع جمالي بل أيضا ذات طابع أخلاقي وفلسفي.

ويلمح مالك بن نبي من خلال هذه الاشكالية إلى إشكالية شغلت النخبة المثقفة العربية منذ بداية الحقبة الاستعمارية وحتى اليوم إشكالية الأصالة والمعاصرة، وفي اعتقاده هي اشكالية مزيفة.

3- ثنائية "الأفكار الميتة والأفكار المميتة"، حيث يرى مالك بن نبي بأن الأفكار الميتة هي الأفكار التي انحرفت عن مثلها العليا، وفقدت فعاليتها في عالم الأشخاص، ولم تتجسد في عالم الأشياء، وهكذا أغلب أفكار إنسان ما بعد عصر الموحدين، أما الأفكار القاتلة المميتة فهي الأفكار المستوردة من المدنيات الأخرى، أو من كل فكرة فقدت عمق هويتها، ومقوماتها الثقافية، بعدما فقدت جذورها.[3]

ويرى مالك بن نبي أن تلاقي الأفكار الميتة مع الأفكار المميتة يمثل أحد أهم عوائق نهضة الأمة لأنه "ما أن نبدأ بمعالجة الأفكار الميتة التي لم يعد لها جذور في بوتقة الثقافة الأصلية للعالم الاسلامي، حتى نصطدم بالأفكار المميتة التي خلفت في عالمها الثقافي الأصلي جذورها ووفدت إلى عالمنا ".[4]

فمشكلة العالم الإسلامي والعربي مشكلة أفكار لا مشكلة وسائل، فالعالم الإسلامي منذ تعثره الحضاري يملك الوسائل ولكنه للأسف يفتقر إلى عالم الأفكار والإبداع، ففقره إذن في فكره لا في وسائله.

3- خصائص النظرية الثقافية عند مالك بن نبي:

تعتبر نظرية مالك بن نبي في الثقافة محور ولبّ نظريته في فلسفة التاريخ والحضارة، لاعتبار أن الفعل الحضاري هو باستمرار محصلة أزمة ثقافية، وأن نجاح أية نهوض حضاري يرتبط بمشروعه الثقافي.[5]

والثقافة هي نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، ومثل القوانين الاجتماعية لابد من

---

[1] راغب السرجاني، مالك بن نبي فيلسوف الحضارة والنهضة، الموسوعة الحرة، ص2، متاح على الموقع: Shapereway.ipg

[2] مصطفى النشار.(2018)، مالك بن نبي... من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري، مجلة العقيدة، المركز الاسلامي للراسات الاستراتيجية، العراق، ص ص: 215-221.

[3] مالك بن نبي.(2007)، في مهب المعركة، إرهاصات الثورة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص 129.

[4] مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، مرجع سابق، ص149- 153.

[5] الطيب برغوث .(2006)، أفاق في الوعي السنني: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، مركز الراية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص16 .

أن تدرس من خلال عاملي الزمن، والمكان، لذا تختلف من مكان لآخر وتخضع لعامل الزمن باستمرار.

ومن هذا المنطلق يمكن الإشارة إلى خصائص النظرية الثقافية عند (مالك بن نبي) لما تشكله من جوهر كتاباته وإنتاجه الثقافي وبنود وأركان مشروعه الثقافي - الفكري.. وتتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

3-1- التجديد والإبداع:

إنّ منطلق نظرة مالك بن نبي التجديدية، قوامها إعادة النظر من جديد في المسلك الذي انتهجه جمهور المفكرين من قبله، على اعتبار أنّ مشروعه الحضاري تفرّد عن بقية المشاريع الحضارية الأخرى.

فقد كان لفكره تميّزًا في الطرح، وهو أنّه لم يكن فقط مجرّد منّظر حضاري للتجديد، بل إنّه جمع على غرار باقي المنظّرين الحضاريين بين ما هو نظري وما هو عملي، لتحقيق التجديد ومن ثمّة النهوض بالأمة الإسلامية من جديد بعد حالة الانحطاط التي عرفته وشارك فيها الغرب المستعمر بالدرجة الأولى من جهة، وسوء تشخيص سابقيه من المنظّرين للدّاء الحقيقي الذي أصابها من جهة أخرى.[1]

وهذه الخاصية تتجلى حينما يتحدث مالك بن نبي عن شروط الحضارة ويقول: أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية - مشكلة الإنسان - مشكلة التراب - مشكلة الوقت -.[2]

وعناصر الحضارة الثلاثة تحتاج إلى مركب لتوحيد تلك العناصر، والمركب اللازم لتكوين الحضارة هو: الفكرة الدينية، وبإعادة صياغة معادلة الحضارة بإدخال المحرك الأساسي (العامل الديني)، تصبح:

الحضارة = (إنسان + تراب + وقت) × العامل الديني.

وانطلاقا من هذه المعادلة، يتضح لنا أن المنتج الحضاري لأي شعب من الشعوب هو المادة الأولى التي يقوم عليها استمراره وأمنه القومي، وبقدر ما يملك من طاقة بشرية فاعلة وإرادة طبيعية للبقاء وقدرة على تفاعل المنتج الحضاري وامتزاجه بعقيدة راسخة تضمن تماسكه ووفرة عطائه، يتحقق العمران.[3]

فالعالم الإسلامي أحوج إلى رجال، فمنهم تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها. ومشكلة الإنسان في أساسها لا تعالج إلا بتوجيه ثقافته، وتصفية العادات والتقاليد الميتة في نفسيته وتنمية روح الإبداع لديه.

ويشير عمر كامل مسقاوي إلى الإبداع الثقافي عند مالك بن نبي بقوله: فقد جاءت أفكار بن نبي حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة لم تألفها المصطلحات المستوردة التي تمت صياغتها في إطار الفكر الليبرالي أو في أطار الفكر الاشتراكي التقدمي "، وتتجلى قيمة الإبداع من الإنتاج الفكري لدى مالك بن نبي حينما يقول: " إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها، وإنما بفتح دروب جديدة.. ولا يتحقق ذلك

---

[1] مسعود بوشخشوخة.(2017)، مالك بن نبي والتجديد الحضاري، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات، قبرص، العدد 95،

[2] الأخضر شريط .(1989)، مرجع سابق، ص 69.

[3] عمر حوتية، عبد العزيز السلومي.(2015)، القيم الروحية والنهوض التنموي في فكر بن خلدون مع الاشارة للتجربة الماليزية كأنموذج لمساهمة القيم في النهوض التنموي للمجتمعات المعاصرة "، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة- الجزائر، المجلد 19، العدد 38.

إلا بأفكار صادقة تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي وبأفكار فعاله لمواجهة مشكلات النماء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه".[1]

3-2- تكامل الأصالة والمعاصرة:

إذ من الأخطاء العميقة التي وقع فيها الكثير من الكتاب والمثقفين، أن عطاءهم الفكري والثقافي، انطلق إما من موقع تراثي لا يرى في العلم الحديث ومكتسبات العصر ما يستحق الذكر والاستفادة منه، أومن مواقع القطيعة مع الثقافة الذاتية، والوقوف على أرضية الثقافة الغربية ومفاهيمها.. وكلا الموقعين قد ضّيعا المسألة الجوهرية في هذا المضمار: التراث المنغلق.. ضيع مكاسب العصر وإنجازاته، والمغترب المتعالي قد ضيع تاريخه وقيم مجتمعه الجوهرية.. وانطلاقا من منطق الإلغاء والنفي كل منهما للآخر فقد تحول النقاش إلى تبادل للاتهامات، وأصبحت براهين الطرفين وحججهما واحدة تقريباً شكلا ومضمونا.

بينما العطاء الثقافي الذي أوجده مالك بن نبي قد تميز بتكامل كلا العنصرين الأصالة والمعاصرة.

ومسألة التكامل تتضح في فكر مالك بن نبي من خلال فهمه لمفهوم الحضارة، باعتبارها قدرات تنبثق من إمكانات الداخل العربي والإسلامي، وليست هي مجموع المظاهر الاستهلاكية للحضارة..

إذ يقول في كتابه شروط النهضة " لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها.. بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب، فإن ذلك تضييعاً للجهد ومضاعفة للداء".[2]

3-3- المنهجية والفاعلية:

وهي القدرة الفذة التي تميز بها مالك بن نبي في إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتباره قضية حضارة أولا وقبل كل شيء.. ويكشف لنا عن منهجيته الفذة حين حديثه عن الدورة الخالدة إذ يقول: إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع ويتعمق بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها.

والمنهجية في فكر بن نبي لا تعني الجمود والترهل على المستوى الفكري والعملي، وإنما أسند فكره المنهجي بفعالية وديناميكية تتصف بها معالجاته لشؤون الثقافة والحضارة.. حيث أن مالك بن نبي وبالرغم من ارتباطه الشديد بواقع المجتمع والأمة العربية الإسلامية، وانطلاقه في دراساته وتطلعاته، من همومها واهتماماتها، إلا أن ذلك لم يجعل من انطلاقته التحليلية الجزئية الإجرائية اليومية أو التبريرية المتحيزة هدفا له، بل ظل اهتمامه مشدودا إلى التأصيل الفكري والمنهجي، ومحاولة استخلاص الأحكام الفاعلة في الظاهرة الحضارية، في حالة قوتها وامتدادها وتألقها، وفي حالة ضعفها وانحصارها وأفولها.[3]

---

[1] محمد محفوظ.(2007)، النظرية الثقافية عند مالك بن نبي (2)، متاح على الموقع: https://www.alriyadh.com/244386

[2] نفس المرجع.

[3] الطيب برغوث .(2006)، مرجع سابق، ص ص: 24-25.

ثالثا: محورية التنمية الثقافية في التغيير الاجتماعي والنهوض التنموي عند مالك بن نبي

الثقافة أحد الروافد الهامة في حياة المجتمع التي يراد تغييرها؛ لأجل تحقيق مستوى تنموي مناسب لما هو مأمول الوصول إليه، وفي فكر مالك بن نبي تعد من مقومات التغيير الاجتماعي والنهوض التنموي.

1- حقيقة التنمية الثقافية عند المفكر مالك ين نبي:

أشار مالك بن نبي إلى التنمية الثقافية في ثنايا حديثة عن مشكلة الثقافة والتي عرفها على أنها موقف يتخذ في إطار اجتماعي ثقافي سلبي معين، وبالتالي فإن تخلف المجتمعات ناجم عن تخلف ثقافاتها وعليه يتعين عليها تكوين رصيدها الثقافي الفعال (الإيجابي) وتصفية رواسبها السلبية، وبذلك يحدث التعديل الاجتماعي والثقافي المستمر، ويكون بذلك التبادل مناعة لثقافة المجتمع وضمان لنموها وبقائها وهذا من خلال تحقيق التماسك والالتحام بين الفرد والمجتمع.

فالتنمية الثقافية تتضمن جميع عناصر الثقافة وأبعادها وعناصرها، فهي بالنسبة للمجتمع في لحظة ما في نموه الاقتصادي والاجتماعي يجب أن يعبر عن صفة العلاقات المتبادلة بين الإنسان والمجتمع، فتتحقق درجة استقلالية الفرد وقابليته على التموضع في العالم والاتصال بالآخرين، والمشاركة الفضلى في المجتمع مع الاحتفاظ بقدرته على التحرر منه. وهذا يعني اختيار عدد من القيم الفردية والجماعية التي تجعل من التنمية الثقافية الهدف أي أنه على الإنسان أن يتطلع إلى الحياة الفضلى وليس إلى حيازة أكثر للأشياء أو تكديسها، أي أن التنمية الثقافية تنحو بالإنسان نحو الكيف وليس الكم.[1]

ولا يمكن للتنمية الثقافية أن تكتمل دون مساهمة الأنساق الاقتصادية والتربوية والاجتماعية، فغيابها يخلق هوة ثقافية بين الأفراد وتلك الأنساق نظرا للعلاقة المعقدة والمتشابكة والمتعددة الأبعاد التي تربط التنمية الثقافية بالتنمية الشاملة حيث وسائلها وأهدافها تمثل خيارات في سلم القيم موصولة بالنظام الاجتماعي والاقتصادي المحيط به. وبالتالي تعد الجوانب النوعية للظواهر الثقافية عاملا مهما في تحديد القرارات حيث ظهر علم جديد يسمى علم االقتصاد التنمية الثقافية لمعرفة أفضل الوسائل وأسس العمل الاقتصادي في المؤسسات الثقافية وما يسمى بالصناعات الثقافية للجماهير وسوق الإنتاج الفني والدعم المالي للفن بأنواعه والإنفاق العام والخاص في مجال الثقافة وفي مجال إدارة الموارد الثقافية.[2]

وأمام ما تواجهه الدول الإسلامية والعربية من عوائق عديدة تغيب شروط التقدم الثقافي، وتحول دون تطوره، فإنه يمكن تبني أسلوب التنمية الثقافية كنهج تنموي نابع من ثقافة المجتمعات العربية، قائم على ثقافة فاعلة وإيجابية، تنقل المجتمعات المحلية العربية من موقع الصمت السلبي أو الاستهلاك الدائم، إلى موقع المشاركة الإيجابية من أجل تحقيق أهداف التنمية الشاملة في الدول العربية.

---

[1] مالك بن نبي.(1984)، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ص ص: 104-116.

[2] زموري زينب.(2014)، مرجع سابق، ص150.

2- التغيير الثقافي المدخل للتغيير الاجتماعي وفقا لفكر مالك بن نبي:

يعرف التغير الاجتماعي بأنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها.[1]

ومطلب التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، يروم من خلاله تحقيق التغيير نحو الأفضل، مع الحرص خاصة على تحقيق التجاوز لما هو كائن، ونعني هنا جملة الرؤى والنظريات الداعية إلى ذلك.

والتغيير عند مالك بن نبي يمثل قاعدة ذهبية، كما أكد عليه القرآن الكريم: « إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم» [2]. ويرى بأن التغيير الاجتماعي عملية بنائية مستمرة تسعى لتحويل الواقع الاجتماعي المتخلف إلى تركيب حضاري متقدم، واعتباره السبيل الوحيد لدخول الإنسان في الحركة الحضارية.

ويؤكد أن التغير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص والآفكار والأشياء معا، ولابد من توفر وصلات بينها ليؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة.[3]

ويرى مالك بن نبي أن أي عملية تقدم أو تغيير ثقافي اجتماعي لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ارتبطت بوجود قوى اجتماعية تصنع هذا التقدم أو التجديد، وأهمها بل محورها الإنسان.

فالعنصر الأول في إحداث عملية التغيير هو الإنسان، وقد أولى مالك بن نبي عناية بالغة للإنسان في معالجته لمشكلات الحضارة، لذلك نجده يركز على خصائص بناء الإنسان.

ويرى مالك بن نبي أنه لا يمكن تغيير المحيط الثقافي للإنسان ما لم يتم تغيير أفكاره، وطريقته في رؤية الأشياء وفهم المحيط الذي يعيش فيه، والمجتمع الغني حقاً هو الذي يملك الأفكار "لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من (أشياء) بل بمقدار ما فيه من أفكار" [4]. ونفس المعنى يكرره بقوله:

" فالمجتمع المتخلف ليس موسوماً حتماً بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقاره للأفكار".[5]

ولذلك دعا مالك بن نبي لتطوير نظم المفاهيم في العالم الإسلامي، وصناعة أفكار جديدة والتخلص من سلطة الأفكار الميتة والقاتلة التي تدمر نسيج المفاهيم لدى الأشخاص.

وتظهر أهمية الأفكار الدينية في النهوض الحضاري، ويشير مالك بن نبي إلى أن عمق الفكرة الدينية هو

---

[1] لطيفة طبال.(2012)، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، العدد 08، ص408.

[2] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11 .

[3] الزهرة بن عاشور وأخريات.(2021)، التغير الاجتماعي وعوائقه عند مالك بن نبي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، المجلد 10، العدد 03، ص172.

[4] مالك بن نبي.(2006)، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص37.

[5] مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص36.

القدرة على تغيير الإنسان، ووضع جل الإمكانات والطاقات الحيوية واستثمارها في عملية النهوض.[1]

وقد أكد مالك بن نبي على أهمية تغيير الإنسان في إطار ثقافته بمشروع سماه البرنامج التربوي للثقافة والذي يتضمن العناصر الأربعة للمركب الاجتماعي للثقافة والمذكورة سلفا.

ومن هذا البرنامج تنبع فكرة التربية الإجتماعية التي لا تعني شيئا، إذ لم تكن وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، كيف يكوِّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأنسب دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع تأدية نشاطه المشترك في التاريخ.

ولتغيير الإنسان بصفته أهم عامل للتفيير الحضاري والتنمية، ركائز خام طبيعية وأخرى صناعية اجتماعية، فهو في تكوينه البيولوجي – أي الإنسان- واستعداده الفطري قادر على استعمال عبقريته وترابه ووقته من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفرد يكتسب من وسطه الاجتماعي قدرة تتمثل في الوسائل التي تمكنه من ترقية شخصية وتنمية مواهبه فيتعلم كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية وتحقيق قفزات نوعية تمهيدا لبناء الحضارة وتحقيق التنمية.[2]

3- محورية التوجيه الثقافي للإنسان في النهوض التنموي:

إن "عملية النهوض" هي الطريق المؤدية للبناء، والنهضة، ويتم عبر حركة ديناميكية واسعة تطرأ على مستوى الوعي والفعل تُخرج أمّة من الخمول والركود إلى الحركة والتغيير المؤَسّسين على إدراك تاريخي عميق ورؤية إستراتيجية مستقبلية واعية[3]. وتأتي النهضة بعد مرحلة الصحوة ثم اليقظة، لتتوج بعد ذلك هذه المراحل بنهوض حقيقي يتجلى في بناء فكري عميق يليه بناء فعلي في مختلف المجالات والميادين.

ويرى مالك بن نبي أن المشكلة التي يعاني منها العالم الإسلامي هي مشكلة الإنسان قبل أي شيء آخر، فإنسان ما بعد الموحدين كما يصفه بن نبي قد فقد همتة جراء فقدانه للمبدأ الديني داخله والوازع الأخلاقي، وأن "للفكرة الدينية" هي التي تتيح بناء الإنسان حتى يقوم بدوره في بناء الحضارة.

فالإنسان هو في الأساس باني الحضارة وعلى يديه أيضا تنتهي، ولتوجد الحضارة لا بد من الإنسان القادر على استخدام العنصرين الأخرين: التراب والوقت للوصول إلى الهدف: بناء الحضارة والتفوق الحضاري.

ويبين مالك ابن نبي أهمية الإنسان في النهضة، بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى، وأن فعاليته في الحركة التغييرية، منوطة بتوجيهه من نواحي ثلاثة: توجيه الثقافة، العمل، رأس المال.

وأساسا فكرة التوجيه هي قوة وتوافق في السير ووحدة في الهدف، وتجنب الإسراف في الجهد والوقت.

---

[1] جاسم محمد سلطان.(2010)، من الصحوة إلى اليقظة: استراتيجية الإدراك للحراك، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، مصر، ص ص: 40 -48.

[2] يوسف أزروال.(2019)، ظاهرة التخلف ومسألة التنمية: دراسة في ضوء فمر مالك بن نبي،، المجلة الجزائرية للأمن والتنمبة، جامعة الحاج لخضر – باتنة 1، الجزائر، المجلد 08، العدد 02،

[3] سهام أمسغرو، مفاهيم ملتبسة.. الحضارة والنهضة والتنمية والمدنية والتقدم، متاح على الموقع: feker.net .

وتوجيه الثقافة يعني توجيه مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولاته كرأسمال أولى في الوسط الذي ولد فيه وتصفيتها من كل ما يشوبها من عوامل الانحطاط.[1]

وهذا التوجيه تعكسه المتغيرات في السلوك والمعتقدات والتوجهات في المجتمع، وتسهم في تشكيلها.

وبفضل التغيير الثقافي، يمكن للمجتمعات التطور والتكيف مع التحولات في العالم المتغير.

وتحتل الثقافة بالنسبة للإنسان المرتبة الرئيسية في بناء شخصيته، وهي لا تنفصل عن ثقافة المجتمع كله، وحيث أن الثقافة التي تقوم على أساس إسلامي هي التي تحقق التوازن في داخل الإنسان وتعلمه كيف ينخرط في الجماعة ليؤدي دوره بشكل متكامل، فإصلاح الثقافة يعني إصلاح الفرد والمجتمع.[2]

والمجتمع الإسلامي عموما، والجزائري خصوصا يملك كلّ إمكانات التنمية والنهوض الحضاري رغم ما يعانيه من تخلّف مُروّع، ، ويحتاج لمقومات إسلامية دينية نابعة من القرآن والسنة من حيث التطبيق وفهم الآيات وتوظيف معناه في إيصال أفكاره، وهذا ما قام بتحليله مالك بن نبي.

فمالك بن نبي يرى أن الاقتصاد في الغرب هو اقتصاد منظم وقد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية، أما العالم الإسلامي فقد وقع في إشكاليتين، أولا أنه حدد الاختيارين أو حصرهما في المنهج الاشتراكي والمنهج الرأسمالي، وثانيا الغير مفعل خاص بالمجتمعات الإسلامية والعربية وهو المنهج الإسلامي وهو نظام شامل وكامل اجتماعي واقتصادي معا مادي وروحي دنيوي وأخروي.

وهي المفارقات التي أشار إليها مالك بن نبي في دراساته الاجتماعية للمجتمع المتخلف، حيث تمتد هذه المفارقات في أوصال ثقافته الاقتصادية والاجتماعية مما يحتم على الدول العربية والإسلامية البحث في إيجاد مشاريع للتنمية الحقيقية كمشروع استثمار إنساني من أجل بناء حضارة وليس استيراد منتجات أبدعتها عقول أخرى، وغفل الإنسان المسلم عن حقيقة بديهية وهي أن الحضارة لا تبيع له روحها (ثقافتها) وان باعت له أشيائها لأنها الحضارة أخيرا بناء ثقافيا وليس تكديسا.[3]

فأعطت أفكاره بديلا يمكن الاستفادة منه، في تحديد سبل ومقومات النهوض والاقلاع الحضاري.

رابعا: إمكانات الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لبن نبي في تنمية المجتمعات المحلية

في ظل تداعيات العولمة على الدول العربية بما فيها التأثيرات الثقافية السلبية على المجتمعات المحلية،

وبالنظر لما يزخر به فكر مالك بن نبي وفي وضع أسس لنهضة المسلمين ومعالجة قضايا ومشاكل تخلفهم، ومنها الأمراض الثقافية، وتضمينه مسألة التغيير الثقافي في الإقلاع والنهوض التنموي كأولوية، يمكن الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لبن نبي في تنمية المجتمعات المحلية العربية، من جوانب متعددة.

---

[1] مالك بن نبي.(2006)، شروط النهضة، مرجع سابق، ص ص: 75- 86.

[2] السحمراني أسعد.(1986)، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، ط2،، بيروت، ص215.

[3] مالك بن نبي.(2002)، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ص ص: 65- 67.

1- استيعاب فرص النهوض التنموي:

تتمتع دول العالم الإسلامي والعربي بثروات طبيعية وباطنية غنية ومتنوعة، ولكنها للأسف تفتقر لرؤية ثقافية وغياب عقل يفكر في الاستثمار المحلي في هذه الثروات والاستفادة منها بشكل أفضل، في حين يقتصرون مقابل ذلك باستيراد منتجات غربية تعكس عالم الأفكار المتطور للإنسان الغربي المتحضر.

فلا بد أن يستوعب المسلمون سنن الله الثابتة في الكون التي يخضع لها الأفراد والجماعات، ليخرجوا مما هم عليه الآن من سبات حضاري وتتحول حركتهم ضمن تاريخ البشرية إلى حركة ثابتة هادفة بدل من كونها حركة عشوائية تحكمها الصدف، وتوجهها أهواء فردية ونزوات شخصية.

وقد أكد مالك بن نبي على قيمة الأفكار في عملية الإقلاع الحضاري، لأنها هي التي تقوم بتغيير الإنسان من حال إلى أحوال، بشرط أن تكون حية بناءة حديثة لا قاتلة ولا مميتة، أو مية لا روح فيها.

2- تفعيل دور الثقافة في تنمية المجتمعات المحلية:

إن المفكر مالك بن نبي في تشخيصه لوضعية المجتمعات العربية والإسلامية، أوجد مؤشرات لفهم تلك المتغيرات ووضع آليات لتفعيل التنمية في هذه المجتمعات، ومن بين هذه الآليات التغيير الثقافي.

فقد شكلت الثقافة محور نظرية مالك بن نبي في فلسفة التاريخ والحضارةعلى اعتبار أن الفعل الحضاري هو باستمرار محصلة أزمة ثقافية، وأن نجاح أية حركة نهوض حضاري ترتبط بمشروعها الثقافي.

وهذا يقتضي مراجعة فكرية - ثقافية، نكتشف من خلالها أصولنا الفكرية ومفاهيمنا الأصيلة كخطوة أولى في سبيل إعادة تأسيس لمفاهيمنا ومقولاتنا الفكرية والثقافية، لكي نشارك بفكر فاعل وثقافة ناهضة في تطورات العالم ومنعطفاته الحضارية. كما يقتضي أيضا مراجعة لسياسات التنمية الثقافية وتوجيهها للبناء وتنمية المجتمعات المحلية. ومن بين الجوانب التي تقتضيها تلك المراجعة، ما يلي:

1- معالجة مشكلة الثقافة بتحديد مفهومها ومفهوم العلم والمعرفة، وتحديد وظيفتها وأولوياتها.

2- تحديد المبادئ العامة والعناصر والظواهر الطبيعية التي يشملها مفهوم "الثقافة".

3- صياغة ما يتضمنه مفهوم "الثقافة" من مبادئ وعناصر وظواهر في برنامج تربوي صالح.

4- وضع هذا البرنامج موضع التطبيق لتحقيق الثقافة بصورة عملية في حياتنا الخاصة والعامة.[1]

5- التخطيط المحكم لادارة عمليات الثقافة في المجتمع بما يتوافق مع المتطلبات المحلية ويتكيف مع الثقافة العالمية، ومع التغيرات المستمرة والمتسارعة التي شهدتها الكثير من المجتمعات.

6- تفعيل دور القيم الثقافية في سياسات التنمية الثقافية، فالقيم الثقافية هي المعايير التي تميز الشعوب وتحدد تصوراتها وتوجهاتها وأهدافها، وتشمل القيم الثقافية الدينية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية وغيرها. وهي تلعب دورًا هامًا في تنمية المجتمعات

[1] مالك بن نبي.(2006)، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص ص: 102-115.

المحلية.

ولا شك في أن القيم الثقافية الايجابية كالنزاهة والشفافية والابتكار والإبداع والمشاركة والتعاون والتنمية المستدامة والمساواة والعدالة والتسامح والتعلم المستمر، تساهم في بناء مجتمعات قوية في العالم.

لذا فالتركيز على تعزيز القيم الثقافية الإيجابية والتخلص من القيم السلبية التي تعتمد على التضليل والفساد والتعصب والتمييز والانقسام وغيرها يمثل عنصرًا أساسيًا في تحقيق التنمية المحلية المستدامة. ويجب على الدول تعزيز القيم سواء في المدارس أو المؤسسات أو المجتمعات المحلية والعالمية بشكل عام،

7- تطوير الصناعات الثقافية، وتشمل قطاعات مثل الفنون والحرف اليدوية والتراث وغيرها. حيث تسهم في: تحقيق النمو الاقتصادي، التماسك الاجتماعي، التبادل الثقافي، تطوير السياحة، بشكل عام، يعد تطوير الصناعات الثقافية أمرًا مهمًا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لبلد ما.

8- تعزيز الثقافة الرقمية من خلال التفاعل الاجتماعي والمشاركة في المجتمعات الرقمية، والشبكات الاجتماعية والمدونات وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي للتعلم وتبادل المعرفة والخبرات.[1]

لذا يجب أن تحظى التنمية الثقافية باهتمام اكبر لمواجهة الأزمات الاقتصادية والتحولات التي تعرفها المجتمعات المحلية، فالمزيد من المساحات المفتوحة في الثقافة وممارساتها وجعلها معبرة عن الواقع الاجتماعي يعتبر أكثر من ضرورة لردم تلك الهوة الثقافية وهذا من خلال استيعاب المجتمع لثقافته.

3- التأكيد على فعالية القوى الاجتماعية في عملية التنمية:

فالمتمعن في فكر مالك بن نبي يجد بأنه مستوحى من روح الإسلام، الدين الذي جاء لتحقيق رقي وتقدم البشرية كافة، ومن ذلك تأكيده على أهمية تحقيق المعادلة الاجتماعية " الفرد في خدمة الجماعة والجماعة في مصلحة الفرد "، والتي ترتبط بجوهر شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة على العلاقة بين العبد وخالقه، فكلما كان الفرد تربطه علاقة متينة بينه وبين ربه كلما كانت علاقته بالآخرين ايجابية وفعالة، وفعالية شبكة العلاقات الاجتماعية مرتبطة بفعالية هذا المبدأ، وفي هذا الإطار يقول مالك بن نبي " وعلى هذا فان ما درسنا من أمراض مجتمع معين ... فإننا ندرس في الواقع أمراض (الأنا) في هذا المجتمع، وهي الأمراض التي تتجلى في لا فعالية شبكة العلاقات الاجتماعية"[2].

وهذه المعادلة هي أساس الإقلاع الحضاري الذي نطلق عليه اليوم التنمية، فكلما كان المجتمع يد واحدة كلما تحققت التنمية وهذه الأخيرة لا تقوم إلا من خلال تضافر جهود الأفراد في إطار واحد وشامل.

وتعتبر هذه المعادلة بمثابة الحافز والدافع القوي لفعالية القوى الاجتماعية في عملية التنمية، وهي

---

[1] أنظر : موقع إجابة : https://www.ejaba.com/.

[2] رابح لونيسي.(2011)، نظريات تحلف العالم الإسلامي، مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد14 ، ربيع2011 ، ص62.

ضرورية للخروج من حالة الترهل السائدة في المجتمعات الإسلامية في مجتمع ما بعد الموحدين.

فقد أراد مالك بن نبي صناعة المجتمع وذلك بصياغة الأفراد صياغة إجتماعية، بحيث يصبحوا أشخاصا يتفاعلون مع غيرهم، لا أفراداً مرتبطين بذواتهم أو القطيع فقط كالقبيلة مثلاً.

ومن بين أهم العوامل التي تصنع المجتمع في نظره هي: المدرسة، التنشئة الاجتماعية، الدين.

فتنمية المجتمعات المحلية في الدول العربية ليست قضية إمكانات مالية، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية المحلية، وكيف يمكن للطاقات الإجتماعية أن تكون شرطا أساسيا للإقلاع الإقتصادي، من خلال الاستثمار الاجتماعي (الإنسان، التراب، الزمن). فتجربة الصين هي خير دليل كيف طبقت الإستثمار الإجتماعي وكيف طبقت مبدأ الإتكال على الذات، أي بالتعبير الإقتصادي مبدأ الإستثمار الإجتماعي من الإنسان الصيني، والتراب الصيني، والزمن المتوفر في كل أرض.

4- تفعيل دور الانسان في تنمية المجتمع المحلي:

إن حركة التاريخ وركوده مرتبط بحركة الجهاز الاجتماعي الأول المتمثل في الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك معه المجتمع والتاريخ وهذا ما تدل عليه الدراسات الإنسانية .

فالإنسان يعتبر محور الفعالية في حركة الحضارة وفي تنمية المجتمعات، وذلك من خلال إمكانات التغيير النفسي التي بمقتضاها يستطيع الإنسان أن يسهم في بناء الحضارة وتحقيق التنمية.

فمالك بن نبي جعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى، وأعطاه الدور الأساسي في التنمية، واعتبره صانع الحضارات وأنه موجود في كل المجتمعات والبيئات، وأنه العنصر الحاسم في المعادلة والذي يعطي لها قوتها. وبقدر النجاح في صناعة البشر في مجتمع ما تكون نهضته. ويقول في هذا السياق:" يجب أولاً أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى".[1]

فالإنسان ينظر له بوصفه وسيلة تتحقق بها خطة التنمية، ومن هنا يأتي الاهتمام العالمي بالاستثنمار البشري، والعالم الإسلامي والعربي أحوج إلى الاستثمار في الانسان كرأس مال بشري، وبما يتفق مع مع أبعاده النفسية، وهذا هو جوهر التجديد عند مالك بن نبي، والذي ينتشر في شبكة العلاقات الاجتماعية، خصوصا أن بناء الإنسان لا يتم بمجرد تصفية عقله من القابلية للإستعمار، بل يجب متابعته للتخلص من ذلك التلوث الفكري نتيجة جرائم الإستعمار ومخططاته العلمية ذات الأبعاد النفسية والإجتماعية.[2]

فأي نهوض تنموي وحضاري، وأي استراتيجية لتنمية المجتمعات المحلية العربية، لا يكتب لها النجاح، ما لم تعتمد على دور الإنسان وفعاليته في المجتمع المحلي، ومشاركته بأفكاره في بناء مشروعات تنموية واعدة، وإحداث تنمية ثقافية تنطلق من بناء لمشروعات فكرية وفنية وإبداعية وثقافية تستوعب الثقافة العالمية، وتراعي ضرورة الحفاظ على القيم والثقافة الاسلامية الأصيلة لمجتمعاتنا.

---

[1] مالك بن نبي.(2006)، شروط النهضة، مرجع سابق، ص75 .

[2] يوسف أزروال.(2019)، مرجع سابق.

إن جوانب الإستفادة المشار إليها، والمتعلقة بتبني نهج التنمية الثقافية عند مالك بن نبي في السياسات التنموية للمجتمعات المحلية العربية، وإن كانت لا تُنشئ حلا عاجلا لمشكلات عناصر الحضارة فيها، إلا أنها تستطيع أن تساهم في خلق بيئة ثقافية جديدة تمكّن الإنسان مع مرور الأيام من اكتساب المنطق العملي الذي ييسّر له معرفة كيفية الربط بين العمل وبين الوسائل والمقاصد، أو بين الفكرة والعمل، أو بين المُثل أو بين القيم أو المبادئ وبين السلوك أو بين المادة والروح، وذلك هو النهج التنموي السليم.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث تبين لنا محورية التنمية الثقافية النهوض التنموي عند مالك بن نبي، وبالامكان تبني نظرية التنمية الثقافية لمالك بن نبي كنهج تنموي نابع من ثقافة المجتمعات العربية، قائم على ثقافة فاعلة وإيجابية، تنقل المجتمعات المحلية العربية من موقع الصمت السلبي أو الاستهلاك الدائم، إلى موقع المشاركة الإيجابية من أجل تحقيق أهداف التنمية الشاملة في الدول العربية.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- توجد علاقة وثيقة بين الثقافة والتنمية الاقتصادية، فالثقافة تعمل كعامل مهم في تحفيز التنمية.

- أن الثقافة تشكل أحد الروافد الهامة في حياة المجتمع المحلي يراد تغييرها لأجل تحقيق مستوى تنموي مناسب، وفي الوقت ذاته تمثل محدد رئيسي من محددات التنمية، ومعيار لتحديد نجاح أو فشل للتنمية،

- تعتبر نظرية مالك بن نبي في الثقافة محور ولبّ نظريته في فلسفة التاريخ والحضارة، على اعتبار أن الفعل الحضاري هو باستمرار محصلة أزمة ثقافية، وأن نجاح أية نهج تنموي يرتبط بمشروعه الثقافي.

- أن تخلف المجتمعات ناجم عن تخلف ثقافاتها وعليه يتعين عليها تكوين رصيدها الثقافي الفعال (الإيجابي) وتصفية رواسبها السلبية، وبذلك يحدث التعديل الاجتماعي والثقافي المستمر، وتكون مناعة لثقافة المجتمع وضمان لنموها وبقائها وهذا من خلال تحقيق التماسك والالتحام بين الفرد والمجتمع.

- أن مالك ين نبي حرص على إنشاء مقاربة تسمح ببناء الأفراد القادرين على أداء دور محرك التنمية.

- يرى مالك بن نبي أن أي عملية تقدم أو تغيير ثقافي اجتماعي لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ارتبطت بوجود قوى اجتماعية تصنع هذا التقدم أو التجديد، وأهمها بل محورها الإنسان كصانع للحضارة.

- أنه بالامكان الاستفادة من نهج التنمية الثقافية لمالك بن نبي في تنمية المجتمعات المحلية العربية، من جوانب متعددة، ومنها استيعاب فرص النهوض التنموي، تفعيل دور الثقافة في تنمية المجتمعات المحلية، التأكيد على فعالية القوى الاجتماعية في عملية التنمية، تفعيل دور الانسان في تنمية المجتمع المحلي،

وبناء على ما تم التوصل إليه من نتائج، يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

- علينا أن ندرك بأنه «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» أي أن نعود إلى الإسلام.

- العناية بفكر مالك بن نبي في مسألة الثقافة دراسة وتحليلا لمضومنه ولنتائج التجارب المستفادة منه.

- ضرورة التخطيط المحكم لادارة عمليات الثقافة في المجتمع بما يتوافق مع المتطلبات المحلية ويتكيف مع الثقافة العالمية، ومع التغيرات المستمرة والمتسارعة التي شهدتها الكثير من المجتمعات.

6- تفعيل دور القيم الثقافية في سياسات التنمية الثقافية، فالقيم الثقافية هي المعايير التي تميز الشعوب وتحدد تصوراتها وتوجهاتها وأهدافها، وهي تلعب دورًا هامًا في تنمية المجتمعات المحلية العربية.

- الاهتمام بدور الإنسان وفعاليته في المجتمع المحلي، ومشاركته بأفكاره في بناء مشروعات تنموية واعدة، وإحداث تنمية ثقافية تنطلق من بناء لمشروعات فكرية وفنية وإبداعية وثقافية تستوعب الثقافة العالمية، وتراعي ضرورة الحفاظ على القيم والثقافة الاسلامية الأصيلة لمجتمعاتنا.

قائمة المراجع:

* القرآن الكريم

1- ابراهيم بدران،(2002)، افول الثقافة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت.

2- الطيب برغوث .(2006)، أفاق في الوعي السنني: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، مركز الراية للنشر والتوزيع، الجزائر .

3- القبلان غازي .(2017)، تنمية المجتمع المحلي، دار الخليج للنشر والطباعة والتوزيع، عمان، الأردن.

4- السحمراني أسعد.(1986)، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، ط2،، بيروت .

5- جاسم محمد سلطان.(2010)، من الصحوة إلى اليقظة: استراتيجية الإدراك للحراك، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، مصر.

6- مالك بن نبي.(1984)، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق .

7- مالك بن نبي.(1994)، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، سوريا.

8- مالك بن نبي،(1995)، من أجل التغيير :،سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر للتوزيع والنشر، ط 5، دمشق، سوريا.

9- مالك بن نبي.(2000)، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق.

10- مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الحضارة – تأملات، دار الفكر، دمشق.

11- مالك بن نبي.(2002)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق.

12- مالك بن نبي.(2002)، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق ،

13- مالك بن نبي.(2006)، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 6، دمشق.

14- مالك بن نبي.(2006)، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

15- مالك بن نبي.(2007)، في مهب المعركة، إرهاصات الثورة، دار الفكر، دمشق، سوريا.

16- مصطفى يوسف كافي.(2017)، التنمية المستدامة، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

17- عبد المطلب عبد الحميد.(2001)، التمويل المحلي والتنمية المحلية، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية.

18- الأخضر شريط .(1989)، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر ع

19- حفيظة سبع.(2017)، دور الولاية في تحقيق التنمية المحلية.(ماجستير غير منشورة)، جامعة قسنطينة، الجزائر.

20- الزهرة بن عاشور وأخريات.(2021)، التغير الاجتماعي وعوائقه عند مالك بن نبي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، المجلد 10، العدد 03 .

21- السعيد جقيدل، آدم رحمون.(2017)، تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الجزائري من خلال أطروحات مالك بن نبي، مجلّة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، العدد 2.

22- حميد بن كويمي حران الرويلي، محمد بن عبد الله اليحيى.(2017)، دور أعضاء هيئة التدريس في تنمية الوعي الثقافي، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، مصر، العدد الثامن . الجزء الأول.

23- رابح لونيسي.(2011)، نظريات تحلف العالم الإسلامي، مجلة إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد14 ، ربيع2011 .

24- زموري زينب.(2014)، ماهية التنمية التنمية الثقافية : دراسة تحليلية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، المجلد 06، العدد 14 .

25- لطيفة طبال.(2012)، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، العدد 08،

26- مصطفى النشار.(2018)، مالك بن نبي... من نقد الذات والآخر إلى بناء نظرية جديدة في البناء الحضاري، مجلة العقيدة، المركز الاسلامي للراسات الاستراتيجية، العراق.

27- مسعود بوشخشوخة.(2017)، مالك بن نبي والتجديد الحضاري، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات، قبرص، العدد 95،

28- عمر حوتية، عبد العزيز السلومي.(2015)، القيم الروحية والنهوض التنموي في فكر بن خلدون مع الاشارة للتجربة الماليزية كأنموذج لمساهمة القيم في النهوض التنموي للمجتمعات المعاصرة "، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة- الجزائر، المجلد 19، العدد 38.

29- فاطمة بور.(2017)، الأمراض الثقافية في العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي، مجلّة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2017 .

30- يوسف أزروال.(2019)، ظاهرة التخلف ومسألة التنمية: دراسة في ضوء فمر مالك بن نبي،، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، جامعة الحاج لخضر – باتنة 1، الجزائر، المجلد 08، العدد 02،

31- طاشمة بومدين.(2008)، " الحكم الراشد ومشكلة بناء قدرا ت الإدارة المحلية في الجزائر"، ورقة بحث مقدمة إلى الملتقى الوطني حول" التحولات السياسية وإشكالية التنمية في الجزائر: واقع وتحديات"، جامعة الشلف، 16- 17 ديسمبر 2008.

32- Mansuri G, Rao V.(2003), Evaluating Community Driven Development: A Review of the Evidence, Development Research Group, World Bank, Washington.